التشيع نزعة فارسية

<"xml encoding="UTF-8?>

واجتهد البعض بأن عقيدة التشيع نزعة فارسية وقد أبطل هذا الرأي المستشرق (جولد تسهير) : إن من الخطأ القول بأن التشيع في منشئه ، ومراحل نموه يمثل الأثر التعديلي الذي أحدثته أفكار الأمم الإيرانية في الإسلام ، وبعد أن اعتنقته ، أو خضعت لسلطانه عن طريق الفتح والدعاية ، وهذا الوهم الشائع مبني على سوء فهم الحوادث التأريخية . فالحركة العلوية نشأت في أرض عربية بحتة (1) .

ولنقرأ رأى (آدم متز) : إن مذهب الشيعة ليس كما يعتقد البعض رد فعل من جانب الروح الإيرانية ، يخالف الإسلام . فقد كانت جزيرة العرب شيعة كلها عدا المدن الكبرى ، مثل : مكة وتهامة وصنعاء ، وكان للشيعة غلبة في بعض المدن أيضا ، مثل عمان وهجر وصعدة . أما إيران فكانت كلها سنة ما عدا (قم) وكان أهل (أصفهان) يغالون في (معاوية) حتى اعتقد بعض أهلها أنه نبي مرسل ، كما نقل المقدسي (2) .

وهذا المستشرق (كيب) يقول : إن الفكرة الخاطئة والتي لا زالت منتشرة التي تقول بأن بلاد فارس كانت الموطن الأصلي للتشيع لا أصل لها بل الروايات التأريخية تثبت بأن الزرادشتين كانوا أميل عموما لاعتناق المذهب السني (3) .

وأحسن ما رد هذا الاتهام وناقشه هو الشيخ محمد حسين المظفر :

كان للإمام علي (ع) ثلاث حروب : الجمل وصفين والنهروان . وكان جيشه كله عربا أقحاحا بين عدنانية وقحطانية . أكانت قريش من الفرس أم الأوس والخزرج ، أم مذحج ، أم همدان ، أم طي ، أم كندة ، أم تميم ، أم مضر ، أم أشباههما من القبائل ؟ وهل كان زعماء جيشه غير رؤوساء هذه القبائل ؟ أكان عمار فارسيا ، أم هاشم المرقال ، أم مالك الأشتر ، أم صعصعة بن صوحان ، أم أخوه زيد ، أم قيس بن سعد ، أم ابن عباس ، أم محمد بن أبي بكر ، أم حجر بن عدي ، أم عدي بن حاتم ، وأمثال هؤلاء من القواد ؟ (4) .

والغريب أن يكون بعض فرسان هذه الحملة من الفرس أنفسهم أرادوا أن يظهروا أنفسهم بأنهم أحرص على العروبة من العرب أنفسهم – ورحم الله من يقول :

رفقا بنسبة عمرو حين تنسبه	فإنه عربي من قوارير

ويشارك المستشرق (نولدكه) في هذه المعمعة : ظلت بلاد فارس في أجزاء كبيرة منها تدين بالمذهب السني واستمر ذلك حتى سنة (1500 م) عندما أعلن التشيع مذهبا رسميا فيها بقيام الدولة الصفوية (5) .

وقد ذكر لنا المؤرخون أن فترة حكم زياد بن أبيه للكوفة كانت في جملة تخطيطاته للقضاء على التشيع بالكوفة أن هجر خمسين ألف من الشيعة وسفرهم إلى خراسان . ولا بد أن هؤلاء توالدوا كما أنهم بشروا بأفكارهم وعقائدهم فتبعهم على ذلك جماعة كما أن مدينة (قم) تم تمصيرها أيام الحجاج ، وذلك أن عبد الرحمن بن الأشعث كان أمير سجستان من قبل الحجاج ثم خرج على الحجاج وقاتله وعندما فشلت حركته كان بجيشه مجموعة من علماء التابعين منهم :

عبد الله ، والأحوص ، وعبد الرحمن ، وإسحاق ، ونعيم ، وهم بنو سعد بن مالك الأشعري فنزل هؤلاء على سبعة قرى في منطقة (قم) استولوا عليها وجعلوها سبع محلات لمدينة (قم) والتحق بعبد الله بن سعد ولد له كان إماميا تربى بالكوفة فنقل التشيع لأهلها فليس بها سني قط (6) .

هذه هي بذرة التشيع في إيران حتى مطلع القرن العاشر حتى كان أيام الصفويين تحولت مناطق كثيرة للتشيع ، أما القرون السالفة ابتداء بالفتح الإسلامي وحتى مطلع القرن العاشر فكانت إيران على ما تبدو من أقوال مؤرخي السنة في جملتها سنية المذهب ، وقد حكى عن انتشار مذهب مالك .

وأما خراسان وما وراء العراق من بلاد المشرق فدخلها هذا المذهب أولا بيحيى التميمي ، وعبد الله بن المبارك ، وقتيبة بن سعيد فكان له هناك أئمة على مر الأزمان ، وتفشى بقزوين وما والاها من بلاد الجبل ، وكان آخر من درس منه بنيسابور أبو إسحاق بن القطان وغلب على تلك البلاد مذهبا أبي حنيفة والشافعي (7) وتذهب جملة من المصادر المعتبرة إلى أن أئمة المذاهب الأربعة السنية هم من الفرس فالإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي وهو مولى لبني تيم الله ومولده بالكوفة (8) يضاف إلى ذلك أنه لم يكن عارفا بالعربية . وأما الإمام أحمد بن حنبل المروزي الخراساني فقد كان بعيد المولد عن مهبط الوحي وبلاد الإسلام وذهب كل من ابن عبد البر صاحب (الإستيعاب) في كتابه (الانتقاء) ، والواقدي محمد بن إسحاق ، والسيوطي في (تزيين الممالك) من أن الإمام مالك بن أنس ليس عربيا وأنه من موالي بني تيم (9) ،

وأما الإمام الشافعي فهو من موالي قريش وقد ذكر كل من الرازي في كتابه (مناقب الشافعي) وأبو زهرة في كتابه المعروف (الإمام الشافعي) (10) .

كحالة (13) على أن أصحاب الصحاح (البخاري والترمذي وابن ماجة والنسائي والسجستاني) أعاجم .

كما أن معظم رواة الأحكام والأخبار ، ومعظم المفسرين والفقهاء هم من الفرس ، ومنهم على سبيل المثال : مجاهد ، وعطاء بن أبي رباح ، وعكرمة ، ومجاهد وعكرمة ممن يعتمد عليه البخاري ويوثقه ويأخذ بمروياته جملة وتفصيلا (14) .

إن الفكر السني بكل أبعاده مدين للفرس ومصبوغ بالفارسية وحتى محمد بن عبد الوهاب – مؤسس المذهب (

الوهابي) – تربى ونشأ وتثقف على أيدي الفرس وكانت تربيته وثقافته بين كردستان وهمدان ، وأصفهان وقم كما نص على ذلك جماعة (15) .

وحيث أن الشيعة تشترط العربية في العبادات والعقود يكون هذا مؤشرا على عروبة التشيع ووضوح انتمائه للعربية شكلا ومضمونا .

وأما أئمة الشيعة الاثني عشر الذين تعتبرهم الشيعة بأنهم الامتداد الطبيعي للنبوة هم سادة العرب ، وأما الرواد الأوائل من حملة علوم أهل البيت وبيوتات وأسر الشيعة الذين حملوا التشيع وبشروا به فإنهم من صميم العرب وذلك ابتداء من أقطاب مدرسة الإمام الصادق (ع) مثل : أبان بن تغلب بن رباح الكندي ، وبيت آل أعين ، وبيت آل حيان التغلبي ، وآل عطية ، وبني دراج وغيرهم (16) .

ثم الطبقة التي تلي هؤلاء : كالشيخ محمد بن النعمان ، والشريف المرتضى علم الهدى علي بن أبي الحسين ، والعلامة الحلي جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر ، وعبد العزيز بن نحرير البراج ، وجمال الدين أحمد بن موسى بن طاووس ، وأسرة آل طاووس ، ومحمد بن أحمد بن إدريس العجلي ، ونجم الدين جعفر بن الحسن الهذلي المعروف بالمحقق ، وجمال الدين المقداد بن عبد الله السيوري ، والشهيد الأول محمد بن مكي ، والشهيد الثاني زين الدين العاملي وغيرهم فإن كل هؤلاء من صميم العرب .

أما أصحاب (الصحاح) الشيعة وهم كل من : الكليني صاحب (الكافي) ، وابن بابويه القمي صاحب (من لا يحضره الفقيه) والشيخ الطوسي صاحب كتابي (التهذيب) و (والاستبصار) فلا يوجد نص على عدم عروبتهم .

---

(1) العقيدة والشريعة في الإسلام : ص 204 .
(2) الحضارة الإسلامية : ج 1 ص 102 .
(3) دراسات في الفرق والعقائد : ص 26 .
(4) تأريخ الشيعة : ص 8 .
(5) دراسات في الفرق والعقائد : ص 326 .
(6) معجم البلدان : ج 4 ص 397 .
(7) ترتيب المدارك : ج 1 ص 53 .
(8) مناقب أبي حنيفة : ج 1 ص 16 .
(9) الإمام الصادق : ج 2 ص 200 .
(10) نفس المصدر : ج 3 ص 220 .
(11) وفيات الأعيان : ج 1 ص 21 .
(12) الكنى والألقاب : ج 3 ص 207 .
(13) معجم المؤلفين : ج 12 ص 115 .
(14) نفس المصدر : ج 1 ص 59 .
(15) زعماء الاصلاح لأحمد أمين : ص 10 .
(16) طبقات ابن سعد : ج 3 تراجم من سكن الكوفة .